الآداب
المجلد: 23، العـدد: 01، ديسمبر 2023
الصفحات: 171 – 184
ISSN 1111 – 4908 EISSN 2588 – 2228

افتتاحيات الأستاذ مختار نويوات – دراسة في المضمون (أفكاره اللسانية)

Professor Mokhtar Nouiouet's Editorials: A Study in Content (His Linguistic Thoughts)

د.عبد الرحمان مشنتل. [1]

[1] مخبر الدراسات اللغوية والأدبية، جامعة محمد الشريف مساعدية سوق أهراس – الجزائر،

a.mechentel@univ-soukahras.dz

تاريخ الإرسال: 2023/06/11 تاريخ القبول: 2023/12/14 تاريخ النشر: 2023/12/15

ملخص:

يتضمن هذا المقال خلاصة أفكار الأستاذ مختار نويوات حول اللغة واللغة العربية في حقل الدراسات اللسانية مما ورد في افتتاحيات أعداد مجلة "اللغة العربية " الصادرة عن مؤسسة "المجلس الأعلى للغة العربية"، وهي تلك التي كان يرأس هيئة تحريرها، والتي جُمِعَتْ فيما بعد في كتاب مستقل تكريما لصاحبها مع جُمْلَة من مقالاته تحت عنوان "عن اللسان.. وفي البيان – مقالات وافتتاحيات".

وقد تبين بعد المعالجة والتحليل لنصوص الافتتاحيات أنّ آراؤه تتسم بالطرافة والجدّة على مستوى طريقة العرض وزاوية الطرح ذلك أنّ الأفكار اللسانية إجمالا هي على ما هي عليه عند غيره من العلماء والباحثين قدامى ومحدثين.

كلمات مفتاحية: *افتتاحيات؛ أفكار؛ لسانية؛ اللغة؛ اللغة العربية.*

Abstract:

This article is a synthetic overview of Mokhtar Nouiouet's thoughts on language in general and the Arabic language in the field of linguistic studies as contained in the editorials of 'The Arabic Language' journal issued by the 'Supreme Council of Arabic Language', which was later compiled in a separate book in honour of its owner with a set of his articles under the heading 'About the Tongue and in the Manifesto: Articles and Editorials'. After processing and analysing the editorial texts, it was found that his views were witty and earnest at the level of introduction and presentation, as linguistic ideas were generally the same for other scientists, ancient researchers, and linguists.

Keywords: *Editorials; thoughts; linguistics; language; the Arabic language.*

المؤلف المراسل: عبد الرحمان مشنتل.

مقدمة:

إنّ ما تُرك من آثار علميّة موضوعها اللّسان وميزانه، وأدواته التّشريحيّة التّحليليّة التي تعود للأستاذ مختار نويوات قليل بالنّظر إلى غيره في مقامه، أو بالنّظر إليه في ذاته وما يفترض منه أن يكون وأكثرها القول ولا شكّ في ذلك نتيجة لطبيعة المذكور بالنّظر إلى المكتوب، غير أنّ القول (ما سمعناه منه في مناقشات الأطاريح، وما كان خارج الأطر الرّسميّة والعلميّة) ليس موضوعًا يُطْمأنّ إليه إنْ لم يكن قُيِّدَ برسم (كتابة) أو نُسِخ ونُقِل على ما هو عليه في الأصل من خلال شرائط تسجيل المحادثات والجلسات. وهذا الّذي ذكرناه حجّة لنا في طلب النّصوص المكتوبة وإن قلّت لاعتبارات عدّة منها أنّ النّصّ أثبت، وأنّه أنطق؛ لأنّ النّصوص بطبيعتها تترك أو تسمح لنا باستفراغ مكنوناتها، واستنطاق دلالاتها، وأنّه أصدق فالنّصوص تعبّر عن أفكارنا الّتي تشكّلت ببطء وصيغت بتأنٍّ، وأنّ مسؤوليّة أصحابها تجاهها وما ورد ضمنها أمتن.

وليس كلّ ما يُكتب يُدْرَسُ –مع كلّ ذلك– بالنّظر إلى الأمر وما يُفترض أن يكون عليه، ويكون تحقيق ذلك بطُرُق عدّة منها –وهذا الّذي نقوم به– طلبه من خلال جزء أو بعض ممّا تُرِك وقد اخترنا الافتتاحيّات لكونها كم أو مقدار يمكن بحثه في إطار المقال، ولعلّها تُظهرُ بعضًا ممّا خَفِيَ في غيره ممّا ترك[1]. فضلًا عن ذلك فهي تُعَدُّ وحدة تشكّلت ضمن ناظم كلّيّ خاص تحت اسم ومسمّى الافتتاحيّات (الخصائص البنائيّة) وهي موضوع نحو النّصوص؛ وليس هذا بحثنا ولا جزءًا منه، ولها من المضامين ما يكشف عن فكرة أو طريقة لم يقصدها بالطّرق القياسيّة في مقولات القصد (مقال، كتاب، محاضرة...إلخ) وهذا هو موضوع بحثنا تحديدًا.

وخلاصة الإشكال وصيغته: إلى أيّ مدى تُعبّر الافتتاحيّات عن أفكاره اللّسانيّة وبما يكفي لتكون كمّا على قلّته يُثري البحث اللّسانيّ في الجزائر وخارجها؟ ومن المناسب التّأكيد على أنّنا نَفترض أنّ الافتتاحيّات تحمل في طيّاتها بصريح اللّفظ ومفهومه وما كان خارج القصد[2] الكثير من الأفكار. غير أنّ هدفنا كان خاصًّا من حيث أنّه يُرَكّزُ على أفكار الافتتاحيّات من حيث هي كذلك، ومن حيث هي شيء يختلف عن الكتاب والمقال والمحاضرة...إلخ، واستخراج ما تعلّق بها –من جهة أخرى– ممّا ورد في تقاطيع اللّفظ ودهاليز العبارة؛ ولهذا اخترنا التّحليل واستنطاق غير المصرّح به قصدًا فهو الأنسب له، دون أن يعني ذلك قراءة غير منضبطة، أو بحثا غير مؤسّس على أدوات ملائمة وخطوات مدروسة.

ومن الضرورة المنهجية وفي ضوء الموازنة بين العنوان وعناصر المتن التنبيه إلى صلة الأفكار اللسانية الوثيقة بالبناء الذي ترد ضمنه، وأنّ الأبنية أو الأشكال تتلوّن بحسب طبيعة الأفكار وبحسب الغرض من طرحها أو عرضها، ولا نحسب أنّ الافتتاحيات وما تضمّنته من ذلك استثناء، فهي هي على كل حال.

1. أفكار حول اللّغة واللّغة العربيّة:

إنّ الباحث في مجال اللّسانيات لا يمكنه بحكم المنهج والهدف أن يفصل بين ما يعود للّغة كونها بشريّة وما يرجع للّغة من حيث هي أداة تواصل عند مجتمع من المجتمعات له إقليمه الخاص وثقافته الّتي فيها من السّمات والتّلوّنات ما به ينماز عن غيره[3]. والأستاذ مختار نويوات ليس بدعا في ذلك وللضّرورة سلطانها، فليس لك من حيث المنهج أن تدرس اللّغة إلّا من حيث تحقّقاتها الجزئيّة أي من حيث هي لغات أو ألسن، وليس لك أن تنتهي عند ذلك من وجه آخر.

1.1 في اللغة العربية وتطورها:

إن المتأمل في اللغات على اختلافاها يصير إلى ما صرنا وصار إليه الأستاذ مختار نويوات من أنّ لغة بعينها واللغة العربية من ذلك يصح وصفها ويصدق فيها ما يميزها عن غيرها بتحديد مسارات تطورها ومآلات تفرّعها، وعوامل تغيرّها وقوانينه. إن اللغات كائنات تاريخية وعليه الحديث في أطوارها هو حديث في الماهية؛ وليس الطريق إلى هذه الأخيرة إلّا من خلاله (التطوّر)؛ وعليه سنتناول أقواله في تطور اللغة العربية من حيث أنّه أراد الحديث فيما يميزها ويبرز خصائصها من هذا الوجه.

سلكت اللّغة العربيّة في تطوّرها مسلكين: الأوّل رعاها فيها الدّين وبها نهضت العلوم والفنون وازدهرت الآداب وشُرّعت القوانين وظهرت الصّحافة، وأسس التّعليم...[4] وما يميّز هذا المسلك سمتان؛ الأولى: أنّ اللّغة العربيّة فقدت الكثير من الألفاظ والدّلالات والعديد من الصّيغ الصّرفيّة والأوزان فلم يَعُدْ في العربيّة ما كان في عصر الاحتجاج من الجموع والمترادفات... كما دخلت فيها ألفاظ وأوزان ومعان بحكم الفتوحات الإسلاميّة من جهة، والتّرجمة أو النّقل والاقتباس من الحضارات القديمة واليونانيّة على وجه التّحديد في مجال العلم والفنون من جهة ثانية. أمّا الثّانية: فتمثّلت في محافظة اللّغة العربيّة مع كلّ الإفراغ والملء الّذي حدث فيها على معياريّتها[5].

أمّا المسلك الثّاني في تغيّر اللّغة العربيّة فحدوثه خارج القرآن والشّريعة الإسلاميّة فكان حُرًّا غير منضبط ففقدت شيئًا ممّا فُقد مثله في المسلك الأوّل من الصّيغ الصّرفيّة والدّلالات والألفاظ، غير أنّ ما

يميز هذا المسلك أنّ اللّغة العربيّة فَقَدَتْ فيه إعرابها (النّحويّ)، وتعدّدت لهجاتها، وعَسُرَتْ كتابتها، وهو مظهر من مظاهر الاختلاف الجوهري عن المسلك الأوّل حيث فَقَدَتْ اللّغة معيارتها[6].

فضلًا عن ذلك أنّ ما يمكن ملاحظته أنّ الأستاذ مختار نويوات يستعمل مصطلح التّطوّر بدلالة التّغيّر والتّبدّل دون حمولة إيجابيّة أو ثقافيّة بقوله:" والحقيقة أنّ العربيّة تطوّرت كثيرًا، كما تطوّرت اللّغات الغربيّة"[7].

ويصير في افتتاحيّته إلى الخلاصة وهي أنّ تطوّر اللّغة من تطوّر أهلها، وأنّ تطويرها يتمّ بالاحتكاك بالثّقافات والعلوم فيفيدها في ذاتها كما يفيدها في مناهج دراستها[8] إن العلاقة بين اللّغة والمجتمع علاقة جدليّة من جهة وانعكاس من جهة أخرى لكون اللّغة تتمثّل حركيّة المجتمع وملمحه الثّقافيّ[9]. ويتحوّل في آخر الافتتاحيّة إلى حكم أو تصوّر يتعارض مع ما ذهب إليه في بداية الافتتاحيّة كونه يرى من خلال ما ورد أنّ مصطلح التّطوّر لا يراد به مجرّد التّغيّر أو التّبدّل وإنّما هو التّحوّل من حال أو وضع إلى أحسن منه، وأنّ الإنسان يمكنه أن يتدخّل في توجيه التّطوّر نحو ما يكون به أفيد للمجتمع اللّغويّ وأنفع[10].

2.1 اللغة العربية والاستعمال:

إنّ ما كان استنتاجًا من القول السّالف في العنصر "ب" اللغة والاستعمال، وإسقاطًا على حالات مشابهة –ومع ما فيه من التلميح والإشارة دون التصريح– يذهب إليه صاحب النّصّ نصًّا في تناوله لضرورة مواكبة اللّغة العربيّة لعصرها ولا سبيل إلى ذلك بدءًا إلّا بتعلّمها وتعليمها، ومجمل القول لابدّ من خدمتها، ووسائل ذلك متنوّعة ومتعدّدة يمكن استخلاصها من الإفادة من الوسائل المستحدثة المتطوّرة أو التّجارب النّاجحة[11].

ويذكر أنّ اللّغة العربيّة تحسّن مستواها في الجزائر منذ الاستقلال، وأنّ ذلك يعود الفضل فيه إلى السّاهرين عليها، وإلى المؤسّسات التّعليميّة والحركات الثّقافيّة والإعلاميّة والسّياسيّة... غير أنّ ذلك كلّه من التّحسّن لم يكن ليبلغ المأمول أو المرجو وقد ذكر في موضع آخر بما للتّرجمة من فائدة في خدمة اللّغة العربيّة ومن ثمّة في خدمة العلم والثّقافة أو الحضارة[12].

إنّ اللّغة تتغيّر في ظلّ منحيين وبفعل عاملين الأوّل داخليّ طبيعيّ وهو من سُننِ الحياة في الأشياء ولهذا نراها تتلوّن في مفرداتها بحسب كلّ عصر من عصورها، والثّاني خارجيّ بشريّ ثقافيّ؛ لأنّ الإنسان

هو من يُحْدِثُهُ بحسب حاجاته في كلّ عصر، وبحسب سياقات كلّ مرحلة، وهو تَعَسُّفيّ لأنّه يأتي من خارجها، وقد عبّر عن ذلك بمصطلحين سمّى العامل الأوّل تطوّرًا وسمّى الثّاني تطويرًا[13].

إنّ اللّافت فيما تناوله في افتتاحيّة العدد الثّامن عشر لوجهة نظره أنّه كَانَ مباشرًا وصريحًا ولهذا ارتأينا وضع نصوصه كما هي دون تصرّف في بعض منها ممّا يقتضي ذلك، يقول في تعريف اللّغة الحيّة: "اللّغة الحيّة في نظري هي الحاملة لوسائل الحياة، الرّاسخة المتجذّرة، المتجدّدة تجدّدًا مستمرًّا، القادرة على استيعاب الثّقافات العالميّة مهما اتّسعت ومهما كان عمقها... كذلك كانت العربيّة عبر العصور وعبر الحضارات وكذلك بقيت لما فيها من عناصر البقاء..."[14].

ويعرّف العامّيّة بقوله:" أمّا العامّية أو العامّيّات العربيّة فتستمدّ قوّتها من الحياة الطّبيعيّة، والحياة الطّبيعيّة لا تُقْهر ولذلك لم يدع أحد إلى مناهضتها بل دُعيَ إلى تبنّيها وتنقيتها من الشّوائب والرّفع من مستواها وإثرائها للتّقريب بينها وبين الفصحى"[15].

إنّ ما يمكن استخلاصه من التّعريفين أنّ قوله في اللّغة العربيّة وهو خاص يصدق قوله في اللّغة البشريّة أو الألسن وهو عام والعكس يصحّ في هذه الحالة؛ فالألسن مهما تعدّدت واختلفت لا تخرج قواعدها عن قواعد اللّغة الكلّيّة[16]واللّغة من حيث هي بشريّة ومن حيث هي كيان ذهنيّ مجرّد هي خلاصة ما اشترك في الألسن وتمثّله استعمالًا[17]. أمّا المستخلص الثّاني فهو أنّ مصطلح اللّغة الحيّة في وجه من أوجهه يُعدُّ مرادفًا لمصطلح العامّيّة[18]. مع حفظ الفروق أو الحدود الّتي ينماز كلّ واحد منهما عن قرينه.

3.1 العامية والطعن في اللغة العربية:

إن العاميات في الأصل تطور طبيعي من اللغات وإنّ نسبتها إلى الأصل كنسبة الابن الشرعي لأبيه ما لم يكن التطوّر تطويرا مغرضا ومؤدلجا، وللإنسان أن يتدخّل في تطور اللغات والقبول بحصائل المآلات بقدر اهتمام الفلاح بتعهد شجيراته وتوفير الشروط المناسبة للحصول على ثمار جيدة ووفيرة وليس له أكثر من ذلك في ذلك. والعاميات تمسي خطرا إذا أصبحت مزاحما للأصول، وتسعى لأن تحلّ محلّها.

يكشف الأستاذ مختار نويوات في موضع من افتتاحيّة العدد الثامن عشر عن نقد يظهر أنّه يتبنّاه مفاده أنّ إشاعة العامّيات والدّعوة لها ومن ثمّة التّمكين لها في الحياة اليوميّة والخاصّة (المجالات الّتي تشغلها الفصحى في الأصل) أثره خطير في تفكيك المجتمعات العربيّة؛ لكون اللّغة الفصحى جامعة في كلّ الحالات فهي لغة العلوم والدّين والتّاريخ والتّراث[19].

ويُصرّح في افتتاحيّة العدد التّاسع عشر المثيرة بقوله: "لفت نظري في المقالات المنشورة"، ومنها الّتي تحمل عنوان "الشّوباشي وسيبويه"، ومن خلالها بِعَدَدٍ من الأفكار اللّسانيّة نُجملها في النّقاط التّالية[20]:

أ-إنّ اللّغة العربيّة كغيرها من اللّغات يدخلها التّطوّر، وله جانبان لفظيّ وهو سريع أو ميسور التّحوّل أو الحدوث، وتركيبيّ وهو بطيء التّحوّل، وإنّ الثّاني (التّركيبيّ) لأهمّ مساعد على حفظها أو بقائها[21].

ب-لا توجد لغات صعبة وأخرى سهلة؛ لأنّ اللّغة ممارسة لا قواعد نحويّة[22].

ج-اللّغات أو الألسن غير متماثلة؛ لأنّها درجات من التّطوّر[23].

ويطرح في افتتاحيّة العدد الثّاني والعشرين ما مضمونه أنّ اللّغة العربيّة وكأيّ لغة أخرى ترتبط بالحاضر كما الماضي، فهي الّتي تُعبّر عنه وفيها يتجلّى[24]، ومن منظور وجوديّ يمكن اعتبار الأشياء يتوقّف وجودها على التّعبير عنها باللّغة[25].

وفي ضوء النّقطة "أ" تحدّث عن كون لكلّ مرحلة استعمالها، ولكلّ حقبة لسانها، ولا يفهم أو يتفاعل صاحب كلّ مرحلة مع محيطه إلّا بلغته، لغة عصره؛ فلا السّابق يفهم من لغة اللّاحق كثيرًا (مبني على افتراض)، ولا يفهم من الأساتذة -بله النّاس العاديين- في عصرنا الحاليّ كثيرًا من الشّعر الجاهليّ إلّا بشرح من القدامى والعودة للمعجمات اللّغويّة، فضلًا عن ذلك وإذ أمكنه ذلك فهل يتفاعل معه، ويُسَرُّ بحسن العبارة، ورهافة الحسّ، وجودة الوصف؟[26]. إ نّ اللّغة آنية البيئة أو المحيط الّذي تكون به، وهي حاضنة معارف ومشاعر مستعمليها[27]. ويُنبّه في موضع آخر إلى الظّاهرة نفسها بنقده الواقع اللّغويّ العربيّ الحديث: "ومازلنا نحن العرب نعيش عصرنا بغير لغة عصرنا، ونستعمل من ألفاظ الحضارة ما لا يمتّ إلى لغتنا بصلة؛ بل هو بلغة من أخذنا عنه الاسم والمسمّى..."[28]. ولكن لم يكن ما تبرّم منه في حاضرنا كذلك في ماضينا فالحضارة العربيّة كانت منفتحة على غيرها: "كسائر الحضارات الخالدة وكانت اللّغة العربيّة في تجدّد مستمرّ تقرض وتستقرض، وتُفيد وتستفيد وهو أمر طبيعيّ..."[29].

إنّ الجامع بين المذكور ممّا هو قاعدة من جهة وفكرة متبناة وواضحة أنّ العاميات نتيجة للتطور اللغات وأنّها في الأصل باكورة لغات أو لهجات غير أنها تمسي خطرا إذا أريد لها ذلك أي بتوظيفها والدعوة لها نكاية في الأصل ورغبة في الانفصال عن الأصول الحضارية بأي دعوة كانت ولو أنها حسنة النيات أو مقنعة في تبريراتها، ومن الجدير بالتنبيه أنّ لكل عصر سياقاته فلا يصح الإسقاط في حال

اختلاف السياقات. ومن الواضح أنّه لكي يكون تناول العاميات خدوما للغة العربية الفصحى فيجب أن يكون في إطار علمي لا ثقافي بدمغة سياسية.

2. أفكار حول اللغة واللغات:

1.2 اللغة والاستعمال:

إنّ ما يصدق في لغة بعينها كاللغة العربية يصدق في غيرها من اللغات وعليه سنرى في هذا العنوان الجزئي أنّ بعض الحديث في اللغة العربية يخوّل لنا الحديث فيها باعتبارها نموذجا لغيرها ويكون المراد اللغة مطلقا مع أنّه أعفانا من التمحّل أحيانا بصريح اللفظ من أنّ ما يصدق في العربية يصدق في اللغات الغربية كما ذكر.

إنّ الإنسان يتدخّل في اللّغة بوسائل شتى ومن أوجه عدّة قديما وحديثا على اعتبار أنّ قادة العالم والمسيطرين عليه في هذا العصر مكّنوا للغاتهم وجعلوها رائدة بسبب ريادتهم في العلوم والتّكنولوجيا والفكر، وفرضوها على غيرهم، بل فرضت نفسها على غيرها[30]. وأنّ خدمة اللّغة العربيّة وجعلها على حال أفضل، وأخذها إلى مستويات من التّطوّر كما هو شأن اللّغات الغربيّة لا يكون ولا يتحقّق إلّا بالعمل الجماعيّ، وبالوسائل الحديثة والمؤسّسات أو الهيئات الفعّالة والجادّة[31].

إنّ العزلة الثّقافيّة هي الخطر الدّاهم على المجتمعات المنطوية على نفسها، والحضارات غير المنفتحة على غيرها، ولعلّ الرّكود الفكريّ أهمّ العوامل في تخلّفنا نحن العرب الأمّة الّتي لا تقرأ ولا تُنتج إلّا القليل الّذي لا يُعْتَدُّ به، ولكي ننفذ إلى الثّقافات ونُنَمّي حضارتنا يقتضي ذلك نقل تلك الثّقافات إلى لغتنا[32]. إنّ اللّغة هي وسيلة النّقل المعرفيّ والثّقافيّ إنّها العلّة الأولى وحلقة البدء في تطوّرنا وتقدّمنا[33].

إنّ ثراء اللّغة وغِنَاها لا يتحقّق إلّا بتطوّرها، ومسايرتها العصر، وتمثّلها للمفاهيم الحضاريّة الجديدة تَمَثُّلًا حقيقيًّا، ولا يكون ذلك إلّا وفق رؤية واعية وعمليّة منظّمة (حركة التّرجمة) تأخذ هي بدورها بعين الاعتبار السّنن الطّبيعيّة في تطوّر اللّغات[34]. غير أنّ لحركة التّرجمة بكلّ ما لها من إيجابيّات أثرًا في تداخل اللّغات وشيوع اللّحن في الصّيغ والتّراكيب العربيّة الأصليّة، وذيوع الأساليب المهجّنة بشيء من دخيل نابٍ[35]. والظّاهر أنّ الأثر السّيّء للتّرجمة يمسّ مستوى الفصحى ويرتبط بالخاصّة لا العامّة.

إنّ فعل الإنسان في اللّغة يكون بالتّمكين لها في بعض الميادين، وتوظيفها كسلسلة ربط بين ماضٍ وحاضر واستخدامها في عمليّة الاستشراف تجاه مستقبل نسعى إليه بخطى ثابتة، وجعلها أداة في استثمار

الموارد الحضاريّة[36]. إنّ الأستاذ مختار نويوات على الرّغم من استعماله التّمكين للّغة العربيّة بمعزل عن ما يمكن أن توظّف فيه وتستخدم؛ إلّا أنّها مع ذلك تُعَدُّ البَدْءَ والمنطلق لكون اللّغة أداة من جهة وانعكاس للعالم من جهة أخرى[37]، فضلًا عن ذلك ما يمكن قراءتُه من فقرة النّصّ الّتي تصرفنا فيها أنّ الحديث مُخصَّص في اللّغة العربيّة وعَمَّمْنا الحكم المنوط بها على اللّغة أو اللّغات إجمالًا لكون المذكور في شأنها هو من قبيل المذكور في غيرها من اللّغات[38].

وخلاصة القول في هذا أن ما تناوله الأستاذ مختار نويوات في ما تعلّق باللغة والاستعمال أنّ نظرته لذالك ثقافية أكثر من كونها علمية؛ بسبب أن غرضه واضح في الدعوة إلى الانفتاح على اللغات وجعل اللغة العربية كغيرها من اللغات المرغوب في تعلّمها والإفادة من مضامينها الحضارية، غير أنّ فصل العلمي عن الثقافي في اللغات أمر يكاد يكون عسيرا، وبالنسبة للبعض يبدو محالا.

2.2 رحلة الكلمات بين اللغات:

إن الظاهرة التي نحن بصدد بسطها كما وردت بقلم صاحبها وإن كانت تبدو من خلال العنوان الفرعي التي تتنزل فيه أنها ظاهرة تتصل باللغات أو الألسن في علاقتها بالمجموعات المختلفة ثقافيا ومنها اللغة العربية فإنها في حقيقة الأمر وقبل ذلك نجدها – من حيث هي، وعلى ما هي عليه – متصلة باللغة البشرية أو بالنحو الكلي؛ ولو لم تكن كذلك لما أمكن للألفاظ أن تنتقل من نظام لغوي خاص ومتحقق الوجود في التمظهر المادي (الكلام) إلى نظام لغوي آخر بالقيود المذكورة نفسها بل قد تصير إلى سلسلة من حلقات الانتقال والتحوّل وفقا لقانون كل حاضنة لغوية.

إنّ الأستاذ نويوات –في ضوء المذكور أعلاه– يحدّثنا عن تطوّر اللّغة العربيّة في علاقتها باللّغات بمثال كلمة "جاوي" وكيف تبدأ الألفاظ رحلتها بين اللّغات وضياع سمات الأصول أو تيه الألفاظ واغترابها اللّسانيّ، ويذكر أنّها ظاهرة لغويّة عالميّة والسّبب أنّها في انتقالها (الألفاظ) تأخذ من كلّ لغة لباسها، وتتمثّل قوانينها أو خصائصها؛ بحيث لا يبدو منها ما يشي بوجود صلة بلغات عبرت من خلالها وكانت في حقبة ما حاضنة لها[39].

ويؤكّد ما ألمح إليه سلفا لمقتضيات منهجيّة خاصّة به، تتعلّق بعدم تماثل اللّغات بقوله فلكلّ لغة خصائصها ولكلّ جنس تفكيره وعاداته، ولكلّ شعر مقاييس وطرائق في التّعبير، ودلالات رمزيّة لا يشاركه

فيها غيره لانتمائه إلى حضارات متباعدة وثقافات هي نتيجة البيئة...تختلف من أرض إلى أرض ومن عصر إلى عصر ومن عِرْق إلى عرق"[40].

وعَوْدٌ على بدء، وتأكيدًا على ما سلف ذكره من أنّ الحديث في الألسن المختلفة البُنى والملمح بجرّنا بالضّرورة للحديث عن اللّغة كنظام عام ونحو كلّيّ. ويصدق القول فيما يكون عكس هذا، فالعلاقات بين النّظام العام والأنظمة الخاصّة (قواعد اللغات المستعملة) متداخلة، والمعابر كما التّداخل بينهما لازمة وأحيانًا متلازمة، وإذا كان الأمر ما ذكرنا فيما هو طبيعيّ (بين اللّغة والألسن) فهو كذلك فيما هو مستحدث وثقافيّ في جزء منه ونعني به علاقة الموضوع بطرق بحثه ومناهج درسه، فالموضوع (اللّغة) لا يكون كذلك ولا يُدرك أو يُعقل إلّا في ضوء ما نستحدث من وسائل تستغرقه فحصًا وتحليلًا؛ ولأجل كشف حقيقته وإعادة بنائه؛ بل إنّ العلاقة بينهما جدليّة أكثر من كونها مجرّد علاقات بين ماهيات منفصلة يستدعي بعضها بعضًا ويُلازمه في الحضور الذّهنيّ؛ ولهذا ولسبب من ذلك نجد أنّ حديث الأستاذ مختار نويوات في قضايا اللّغة عادة ما يتأتّى ضمن حديثه في المنهج والمنهجيّة ويصدق هذا من الجهة الأخرى في كونه حينما يتناول قضاياهما فهو يفعل ذلك حين يتناول الموضوع؛ ولهذا السّبب نجد في كثير من الجزئيّات والنّصوص تداخُلًا بين المنهج وموضوعه.

خاتمة:

إنّ الافتتاحيات نمطان: نمط أشبه بالفهرس المفصّل لكونه يشرح ما تتناوله المقالات، ونمط أشبه بالمقالات المصغرة؛ لكونه يفيد ما تفيده على قلة لفظه؛ ولها من البناء وهيكله ما يجعلها كذلك، فضلا عن ذلك أنّه يعبّر عن الفكرة نفسها، ويعالجها بطريقتين طريقة المقال وطريقة الافتتاحية، دون أن تلمس فروقا جوهرية في الطريقتين.

إنّ أفكاره حول اللغة هي نفسها أفكاره حول اللسان، جزء منها صريح في ذلك، وجزء منها مستنتج ومستخلص، وما تمّ استنتاجه ليس فيه تقوّل؛ لكونه يجد سنده في ما صرّح به، ولكون بعضه من بداهات العقل ومصادرات العلم. وإنّ اللغات أو الألسن يدخلها التّطوّر (بدلالتين) القهري بسبب من ذاتها من جهة، وبسبب عوامل الاحتكاك والتواصل الثقافي أو الحضاري والجغرافي من جهة ثانية. كما يدخلها التّطوّر المؤسّس على التّدخّل البشري المغرض في ضوء التخطيط اللغوي وسياساته.

وما تمّ استخلاصه من النتائج وعرضه وكما هو بيّن من العنوان ومضمون المقال يفضي إلى طلب غيرها ممّا تعلّق بالمنهج والمنهجية مثلا، أو طلبها (الأفكار اللسانية) وطلب غيرها من محال أو نصوص تدخل في تصنيف الكتاب أو المقال أو المناقشات ...إلخ، وهو باب وفتح لكثير من الباحثين لإثراء تراث الأستاذ مختار نويوات، وليس الإسهام الذي قد ندّعي نسبته للأستاذ في الدرس اللساني العربي يكون بطريق غير الطريق الذي سلكناه في هذا المقال.

الهوامش والإحالات:

[1]- أعماله: وتشمل كتبه، وبحوثه في ضوء المؤسّسة والبرامج الوطنيّة، ومقالاته، وترجماته، وإشرافه، والغالب منها في اللّسانيات وتطبيقاتها كبحوثه في اللّهجات والتّعليميّة والمصطلح والتّرجمة والبلاغة. وليس هذا محلّ تفصيلها ولكن لا بأس بالرّجوع إلى ذلك في مقال: زحاف، بسمة، إسهامات "مختار نويوات" في الدّرس اللّسانيّ العربيّ، مجلّة اللّغة العربيّة، المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر-الجزائر، عدد1، مجلّد 24، مارس2022م، ص116-128.

[2]- الكلام كلام بعنصر القصد فيه، ولا يسمّى كلامًا ما صدر من نائم أو ساه أو مغمى عليه أو مجنون وهو القصد الأوّل وهو غير المراد هنا. والثّاني وهو القصد غير الصّريح وهو عند الأصوليّين يسمّى المفهوم وهو مفهوم موافقة ومفهوم مخالفة وهو المراد هنا -إلى حدّ ما- وهناك القصد الصّريح أو لأجله كانت العبارة ويظهر في ما يسمّى المنطوق. ينظر الآمدي في احترازه عن إفادة الخبر بغياب القصد. الآمدي، سيف الدّين، الإحكام في أصول الأحكام، ضبط وحاشية الشّيخ إبراهيم العجوز، دار الكتب العلميّة، ط1، بيروت-لبنان، 1985م، ج:2، ص253. ينظر المفهوم، وهو ما كان حكم المسكوت عنه يوافق أو يخالف حكم المنطوق، الجويني، عبد الملك، البرهان في أصول الفقه، تح: صلاح بن محمد بن عويضة، دار الكتب العلميّة، ط1، بيروت-لبنان، 1997م ج:1، ص166. والإشبيلي، أبو بكر بن العربي، المحصول في أصول الفقه، تح: حسين علي اليدري وسعيد فودة، دار البيارق، ط1، عُمَّان، 1999م، ص 104. ينظر المنطوق: وهو المعنى المتلقى من المنطوق المصرّح بذكره، الجويني، عبد الملك، البرهان في أصول الفقه، ج:1، ص165، وبن باديس، عبد الحميد، مبادئ الأصول، تح: عمار الطالبي، الشّركة الوطنيّة للنّشر والتّوزيع، دط، الجزائر-الجزائر، 1980م، ص27.

[3]- ومثاله ما يفيده عنوان ومضمون كتاب زكريا، ميشال، الألسنيّة التّوليديّة التّحويليّة وقواعد اللّغة العربيّة (الجملة البسيطة)، المؤسّسة الجامعيّة للدّراسات والنّشر والتّوزيع، ط2، بيروت – لبنان، 1986م، ونموذج المكون التّركيبيّ، ص17، وينظر دو سوسير، فرديناند،

محاضرات في الألسنيّة العامّة، تر: يوسف غازي ومجيد النّصر، المؤسّسة الجزائريّة للطّباعة، دط، الجزائر– الجزائر، 1986م، نموذج العلاقات التّرابطيّة، ص152.

[4]– نويوات، مختار، عن اللّسان وفي البيان (مقالات وافتتاحيّات)، منشورات المجلس الأعلى للّغة العربيّة، دط، الجزائر–الجزائر، دت، افتتاحيّة العدد 16، ص211.

[5]– المصدر نفسه، اف، ع: 16، ص211–214. وينظر الكرملي، أنستاس ماري، نشوء اللغة العربية ونموها واكتهالها، مؤسسة هنداوي، دط، المملكة المتحدة، 2020م، ص135.

[6]– نويوات، مختار، عن اللّسان وفي البيان، اف، ع: 16، ص214–215. يذهب إبراهيم أنيس إلى أنّ الإعراب ظاهرة في اللّغة الأدبيّة وليس في لهجات العرب ينظر أنيس، إبراهيم، في اللهجات العربية، مكتبة الأنجلو المصرية، ط8، القاهرة– مصر، 1992م، ص84.

[7]– المصدر نفسه، عن اللّسان وفي البيان، اف، ع: 16، ص211. ينظر في مفهوم التطور بالدلالتين صليبا، جميل، المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني، دط، بيروت–لبنان، 1982م، ج:1، ص294–295.

[8]– المصدر نفسه، عن اللّسان وفي البيان، اف، ع: 16، ص215.

[9]– ينظر كتاب ديكرو، أوزوالد، وسشايفر، جان ماري، القاموس الموسوعي الجديد لعلوم اللسان، تر: منذر عياشي، المركز الثقافي العربي، ط3، الدار البيضاء –المغرب، بيروت –لبنان، 2013م، ص137–138.

[10]– المصدر نفسه، اف، ع:16، ص215.

[11]– المصدر نفسه، اف، ع:9، ص195–196. ينظر الصالح، صبحي، دراسات في فقه اللغة، دار العلم للملايين، ط11، بيروت – لبنان، 1986م، ص347–361.

[12]– المصدر نفسه، اف، ع:8، ص192–193. ينظر حجازي، محمود فهمي، علم اللغة بين التراث والمناهج الحديثة، دار غريب، دط، القاهرة – مصر، دت، ص102–104. والفاسي الفهري، عبد القادر، حوار اللغة، إعداد حافظ الإسماعيلي، منشورات زاوية، ط1، الرباط–المغرب، 2007م، ص22–23.

[13] – المصدر نفسه، اف، ع:8، ص194، و اف، ع: 18، ص225. ينظر وافي، علي عبد الواحد، اللغة والمجتمع، مكتبات عكاظ، ط1، جدة – السعودية، 1983م، ص9–75.

[14]– المصدر نفسه، اف، ع:18، ص224.

[15]– المصدر نفسه، اف، ع:18، ص225–226.

[16]– ينظر البهنساوي، حسام، نظرية النحو الكلّي والتراكيب اللغوية العربية، مكتبة الثقافة الدينية، ط1، القاهرة– مصر، 2004م، ص5–7.

[17]– ينظر أوكان، عمر، اللغة والخطاب، أفريقيا الشرق، دط ، الدار اليضاء – المغرب ، 2001م، ص42–43.

[18]– ينظر هدسون، د، علم اللغة الاجتماعي، تر: محمود عياد، عالم الكتب، ط2، القاهرة – مصر، 1990م، ص54–55.

[19]– المصدر نفسه، اف، ع:18، ص223–224.

[20]– المصدر نفسه، اف، ع:19، ص232–233.

[21]– ينظر حجازي، محمود فهمي، أسس علم اللغة العربية، دار الثقافة، دط، القاهرة – مصر، 2003م، ص304-321.

[22]– المصدر نفسه، اف، ع:25، ص255-257.

[23]– ينظر سبيلا، محمد، وبنعبد العالي، عبد السلام، اللغة، ترجمة وإعداد نصوص مختارة، دار توبقال للنشر، ط4، الدار البيضاء – المغرب، 2005م، ص52-53.

[24]– المصدر نفسه، اف، ع:22، ص236-235.

[25]– ينظر أورو، سيلفان، وآخرون، فلسفة اللغة، تر: بسام بركة، المنظمة العربية للترجمة، ط1، بيروت-لبنان، 2012م، ص210. ويظهر في تعريف غورجياس للخطاب عند السوفسطائيين.

[26]– المصدر نفسه، اف، ع:25، ص256.

[27]– المصدر نفسه، اف، ع:26، ص260.

[28]– المصدر نفسه، اف، ع:26، ص262.

[29]– المصدر نفسه، اف، ع:27، ص268.

[30]– المصدر نفسه، اف، ع:6، ص184.

[31] – المصدر نفسه، اف، ع:6، ص185.

[32] – المصدر نفسه، اف، ع:6، ص186.

[33]– يول، جورج، معرفة اللغة، تر: محمود فراج عبد الحافظ، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، دط، الإسكندرية – مصر، 1995م (الطبعة الأصلية)، ص32، 37-38.

[34]– المصدر نفسه، اف، ع:7، ص188.

[35]– المصدر نفسه، اف، ع:7، ص189.

[36]– المصدر نفسه، اف، ع:8، ص191.

[37]– ينظر حمود، جمال، فلسفة اللغة عند لودفيغ فتغنشتاين، منشورات الاختلاف، الجزائر- الجزائر، الدار العربية للعلوم ناشرون، ط1، بيروت-لبنان، 2009م، ص73-74.

[38]– هذا من قبيل المسلم به في مجال الدرس اللّسانيّ سواء أقصد الباحث ذلك أم يقصد.

[39]– المصدر نفسه، اف، ع: 27، ص269.

[40]– المصدر نفسه، اف، ع: 24، ص248.

قائمة المصادر والمراجع:

المصدر:

1- نويوات، مختار، عن اللّسان وفي البيان (مقالات وافتتاحيّات)، منشورات المجلس الأعلى للّغة العربيّة، دط، الجزائر-الجزائر، دت.

المراجع:

الكتب:

2- الإشبيلي، أبو بكر بن العربي، المحصول في أصول الفقه، تح: حسين علي البدري وسعيد فودة، دار البيارق، ط1، عُمَّان، 1999م.

3- الآمدي، سيف الدّين، الإحكام في أصول الأحكام، ضبط وحاشية الشّيخ إبراهيم العجوز، دار الكتب العلميّة، ط1، بيروت- لبنان، 1985م.

4- أنيس، إبراهيم، في اللهجات العربية، مكتبة الأنجلو المصرية، ط8، القاهرة- مصر، 1992م.

5- أورو، سيلفان، وآخرون، فلسفة اللغة، تر: بسام بركة، المنظمة العربية للترجمة، ط1، بيروت- لبنان، 2012م.

6- أوكان، عمر، اللغة والخطاب، أفريقيا الشرق، دط، الدار البيضاء – المغرب، 2001م.

7- بن باديس، عبد الحميد، مبادئ الأصول، تح: عمار الطالبي، الشّركة الوطنيّة للنّشر والتّوزيع، دط، الجزائر-الجزائر، 1980م.

8- البهنساوي، حسام، نظرية النحو الكلّي والتراكيب اللغوية العربية، مكتبة الثقافة الدينية، ط1، القاهرة- مصر، 2004م.

9- الجويني، عبد الملك، البرهان في أصول الفقه، تح: صلاح بن محمد بن عويضة، دار الكتب العلميّة، ط1، بيروت-لبنان، 1997م.

10- حجازي، محمود فهمي، أسس علم اللغة العربية، دار الثقافة، دط، القاهرة – مصر، 2003م.

11- حجازي، محمود فهمي، علم اللغة بين التراث والمناهج الحديثة، دار غريب، دط، القاهرة – مصر، دت.

12- حمود، جمال، فلسفة اللغة عند لودفيغ فتغنشتاين، منشورات الاختلاف، الجزائر- الجزائر، الدار العربية للعلوم ناشرون، ط1، بيروت- لبنان، 2009م.

13- ديكرو، أوزوالد، وسشايفر، جان ماري، القاموس الموسوعي الجديد لعلوم اللسان، تر: منذر عياشي، المركز الثقافي العربي، ط3، الدار البيضاء – المغرب، بيروت – لبنان، 2013م.

14- زكريا، ميشال، الألسنيّة التّوليديّة التّحويليّة وقواعد اللّغة العربيّة (الجملة البسيطة)، المؤسّسة الجامعيّة للدّراسات والنّشر والتّوزيع، ط2، بيروت – لبنان، 1986م.

15- سبيلا، محمد، و بنعبد العالي، عبد السلام، اللغة، ترجمة وإعداد نصوص مختارة، دار توبقال للنشر، ط4، الدار البيضاء – المغرب، 2005م.

16- سوسير، فرديناند، محاضرات في الألسنيّة العامّة، تر: يوسف غازي ومجيد النّصر، المؤسّسة الجزائريّة للطّباعة، دط، الجزائر- الجزائر، 1986م.

17- الصالح، صبحي، دراسات في فقه اللغة، دار العلم للملايين، ط11، بيروت – لبنان، 1986م.

18- صليبا، جميل، المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني، دط، بيروت- لبنان، 1982م.

19- الفاسي الفهري، عبد القادر، حوار اللغة، إعداد حافظ الإسماعيلي، منشورات زاوية، ط1، الرباط- المغرب، 2007م.

20-الكرملي، أنستاس ماري، نشوء اللغة العربية ونموها واكتهالها، مؤسسة هنداوي، دط، المملكة المتحدة، 2020م.
21-هدسون، د، علم اللغة الاجتماعي، تر: محمود عياد، عالم الكتب، ط2، القاهرة – مصر، 1990م.
22-وافي، علي عبد الواحد، اللغة والمجتمع، مكتبات عكاظ، ط1، جدة – السعودية، 1983م.
23-يول، جورج، معرفة اللغة، تر: محمود فراج عبد الحافظ، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، دط، الاسكندرية – مصر، 1995م (الطبعة الأصلية).

المجلات:

24-زحاف، بسمة، إسهامات "مختار نويوات" في الدّرس اللّسانيّ العربيّ، مجلّة اللّغة العربيّة، المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر-الجزائر، عدد1، مجلّد 24، مارس 2022م.